

مكانة العقلانية في مشروع المفكر فهمي راجح جدعان

The Status of Rationality in the Project of the Thinker Fahmi Rajih Jad'an

طورشي صالح * TORCHI SALAH

salah.torchi@ummtto.dz

فلسفة إسلامية/ جامعة تيزي وزو مولود معمري/ الجزائر

DOI: 10.46315/1714-015-002-004

الإرسال: 2025/07/27 القبول: 2026/04/15 النشر: 2026/06/10

**

ملخص

يعتبر المفكر فهمي جدعان (1997-) Fahmi Rajih Jad'an من أبرز المفكرين البارزين في الفكر العربي المعاصر حيث اهتم مجال بحثه حول مشروع التنوير في العالم العربي وإحياء التراث العقلاني المتجذر في تاريخ الفكر الإسلامي والاستفادة منه، تبرز العقلانية في المواضيع التي تناولها المفكر فهمي جدعان في الفكر النقدي والعقلاني والتنويري في جانبه الفكري والديني والسياسي، خاصة الدعوة إلى إحياء فكر ابن رشد، ويرى أنه الحل للخروج من الأزمة الفكرية والصراعات الدينية والطائفية، كما يدعو إلى مشروع العقلانية التكاملية الذي يحقق الإصلاح الحقيقي في جوهر الدين والسياسية والفكر، ويؤسس لفضاء اجتماعي عربي حديثي، تهدف هذه الدراسة التعريف بمشروع المفكر فهمي جدعان وإسهاماتها الفكرية والفلسفية.

كلمات مفتاحية: التراث، التنويري، العقلاني، الديمقراطية، العلمانية.

Abstract:

Fahmi Jadaan is one of the most prominent thinkers in contemporary Arab thought, as his field of research focused on the Enlightenment project in the Arab world and the revival of the rational heritage rooted in the history of Islamic thought and benefiting from it, Rationality is prominent in the topics addressed by the thinker Fahmi Jad'an in critical, rational, and enlightened thought, in its intellectual, religious, and political aspects , especially the call to revive the thought of Averroes, and he sees it as the solution out of the intellectual crisis and religious and sectarian conflicts, and calls for an integrative rationality project that achieves real reform in the essence of religion, politics and thought, establishing an Arab social space with a limit. This study aims to introduce the project of the thinker Fahmi Jad'an and his intellectual and philosophical contributions.

Keywords : Enlightenment, heritage, rationalism, democracy. Secularism

**

1- مقدمة

إن مشروع المفكر فهدى جلعان يعتمء على الأسس المعرفية والمنهجية داخل الأطر البنوية في تاريخ الفكر العربى والإسلامى، ينطلق المفكر فهدى جلعان في مشروعه من خلال الدراسات النقدية والتحليلية للمجتمع العربى، وخاصة المجتمع المصرى، حيث شخص الأزمات الفكرية والصراعات الطائفية بين الحركات الدينية والإصلاحية التى ترى بأن الانسداد الواقع فى المجتمعات العربية راجع إلى البعد عن الدين الإسلامى والفكر الإسلامى الإصلاحى، ودعاة الفكر الحدائى العربى التى تنطلق من العلمانية والديمقراطية وترى أن الحل فى تطبيقهما للخروج من التزمى الدينى، إن هذا الصراع بين العقل التشريعى الدينى والعقل الوضعانى العربى، إن هذه الجدلية جعلت المفكر فهدى جلعان يتباحث فى كتبه، حيث قدم قراءات حدائية مركزاتها عقلانية تمكنها من تحقيق الاستقرار السياسى والدينى، خاصة أحداث الربيع العربى شهدت اضطرابات عنيفة أدخلت البلاد لحروب أهلية.. لقد ركز المفكر فهدى جلعان فى أطروحاته الفكرية على تحطيم التصورات الكلاسيكية التى تعتبر بالنسبة له قوالب معرفية لا يمكن أن تساهم فى إحداث النهضة والتغير، إن هذا الجدل لا يزال يشكل المحور الأساسى فى مشاريع النهضة العربية، وخاصة أن المفكرين العرب قدموا إسهامات فى الفلسفة العربية تمحورت حول قضية التقدم والتأخر مستذكرين سؤال شكيب أرسلان لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ إن هذا الاستشكال يعبر عن حدث فكرى وعلمى وتاريخى ودينى، هذا ما يصطلح عليه اسم "صدمة الحدائة" التى تعبر عن ذلك التلاقى بين الذات العربية الإسلامية والذات الغربية التى تحمل قيم الحدائة والأنوار، إنه سؤال تاريخى فتح أسئلة جذرية تسعى لتشخيص هذا الصدام ومحاولة إيجاد رؤية استشرافية تخرج الفكر العربى من مأزقه، فالإشكالية المطروحة فى هذه الورقة البحثية: كيف تأسست قراءة المفكر فهدى جلعان لإشكالية النهضة والتنوير فى العالم العربى؟ وتتفرع هذه الإشكالية لعدة تساؤلات أهمها: كيف شخص المفكر فهدى جلعان أزمة الفكر العربى؟ ماهى الإسهامات الحديثة التى قدمها فهدى جلعان فى مشروعه؟

2- مشروع المفكر فهدى جلعان

يعتبر المفكر فهدى جلعان أبرز المفكرين المعاصرين، الذين اهتموا بتشخيص أزمة الفكر العربى، من خلال انتقادات قدمها للوضع المأزم الذى يعيشه المواطن العربى، حيث يعتبر جوهر مشروع فهدى جلعان فى إعادة تأسيس العقلانية فى تاريخ الفكر العربى والإسلامى وخاصة فكر المعتزلة وابن رشد، إن الإشادة بهذه الأسس العقلانية ترجع إلى الواقع- الانحطاط الجمود- فى جميع المستويات، لذلك حاول المفكر فهدى جلعان أن يؤسس لفكر تجديد نابع من الثقافة الفكرية الإسلامية والعربية، هذا لم يمنعه من التأثر بالفكر الغربى محاولاً التأسيس لما يسمى بالتوافق الكونى، والعقلانية أساس مركزى لكل ثقافة عربية إسلامية حالية وقابلة والمقصود بذلك أن نقيم علائق راسخة وتراسلاً عضوباً بين عقلنا الموضوعى وبين العالم، وأن ننفذ أمورنا الزمنية فى ضوء أحكام هذا العقل، نأياً عن كل

الأشكال الأخرى للتفكير ولل فعل - وأعني ما يتولد عن الغريزة والانفعالية والعاطفة والهوى . ومع أنني لا أعتقد أن العقل القياسي» قد استبد استبداداً تاماً بالقطاعات الفكرية العربية الإسلامية التاريخية كافة، إلا أنني أعتقد أن قياس الحاضر على الماضي نهج مستمر في تفكيرنا المنطقي، وأن من الضروري أن نتحول عن هذا النهج إلى مناهج عقلية وعلمية تأذن بالابتكار والابتداع والتجديد وتجاوبه المباشر العياني الحي بأدوات وآليات جديدة مبتكرة مشخصة . والفاعلية العلمية والطبيعية أساس آخر لهذه الثقافة . والمقصود توجيه أفعالنا ومنجزاتنا في الطبيعة وفي الكون بحسب متطلبات العلم وقواعده، وتوخي الفاعلية الرحيمة في علاقتنا بالطبيعة وفي تدخلنا التقني فيها الخير الإنسان . والقيم الأخلاقية المركزية أو القطبية : الخير، السعادة، الفضيلة، (جدعان، ف، 2009، ص 252) من خلال تحليل المفكر فهني جدهان فإن مشروعه في السياق الفكري يتعلق بالعقلانية والتنوير، هو مشروع تحديثي، يجمع بين المبادئ الأصيلة للحدثة والديمقراطية والعلمانية مع مبادئ وقيم الإسلام، لذلك يربط الابداع والتجديد والابداع بالعقل العلمي والعقل الذي يحقق لي منفعة في الواقع، يتحدث المفكر فهني جدهان في مؤلفه "الماضي في الحاضر، دراسات في تشكيلات ومسالك التجربة الفكرية العربية عن سمات العقل الإسلامي والمستقبلي حيث يقول: "، تلك هي أبرز السمات الاستراتيجية للعقل الإسلامي المستقبلي : التقدم، الإبداع، التجذر التمثل، العقلانية، التنظيم والفاعلية والاتقان، الحرية والمسؤولية والمشاركة، التكيف . والسؤال بعد ذلك هو، كيف السبيل إلى إجراء تحويل واقعي لهذه السمات المجردة؟ إن ذلك لن يتم إلا بخلق الشروط الإنسانية والطبيعية الملائمة للتحويل . والعملية ليست يسيرة بكل تأكيد. وهي حصيلة تضافر فعال وتضامن إيجابي الجهود، وإسهامات وتدخلات تصدر عن أطراف متباينة . وقد يمكن رد شروط تحقق هذه العملية إلى : ١ - الوعي : يشكله عند الناس رجال الفكر والعلم والثقافة والإبداع والفكر الديني السديد، التخطيط : يحدده مصممو السياسات الثقافية والتنموية من الاستراتيجيين وواضعي القرارات والقائمين على المؤسسات والمشاريع الخاصة والعامة، وينفذ تنفيذاً فعالاً متقناً : -التطور المحتوم : في الأحوال الوضعية المشخصة للجماعة ونظمها، مما يمكن أن يتم على نحو تغير بطيء وفقاً لسنة بيئة أو لعوامل كامنة في الأشياء، أو بفعل مبادرات تربيء العقول لتقبل الأوضاع الجديدة أو تفرض على العقول هذه الأوضاع المادية والاقتصادية للمجتمع، أو غير ذلك من محددات التغير التي تعسر الإبانة عنها مقدماً على نحو قاطع(جدعان، ف، 1997، ص 363، 364)

كما نجد المفكر فهني جدهان يصرح "بالعقلانية التكاملية" إننا هنا، بوضوح تام، قبالة "عقلانية" صريحة. لكنها ليست عقلانية أحادية استحواذية، وإنما هي عقلانية "تكاملية"، تعمل بتوافق مع

المكونات الطبيعية الأخرى للكينونة الإنسانية في ضوء هذا الواقع يمتنع تماماً الكلام على "استقلال" العقل الإنساني" استقلالاً تاماً في أي بناء شامل للوجود الإنساني والاجتماعي والسياسي (جددان، ف، 2007، ص 361). إن الباحث في مؤلفات المفكر فهدى جددان، يلمس فيه الدعوة إلى العقلانية التكاملية وهي جوهر مشروعه الفكري، خاصة في قراءات لأحداث السياسية أو مسائل النهضة العربية، أو حتى التاريخ العربي والإسلامي، يقدم قراءة موضوعية لقيمة العقل الإنساني، ولا يقوم بإقصاء الدين، بل يجعله أحد آليات النهضة.

يتسم مشروع المفكر فهدى جددان- العقلانية التكاملية- بالتفكير الحر والمبدع والمنتج للمعارف والعلوم وبالتالي يتخلص العقل من هيمنة الايديولوجيات الدينية والنزاعات الوثوقية التي تحتكر العلم والمعرفة وترفض التفكير النقدي لها.

3- العقلانية والتنوير في فكر فهدى جددان

تعتبر إشكالية التقدم والترقي من أبرز المحاور الكبرى في العربي المعاصر، خاصة عند المفكر فهدى جددان الذي أثار هذه المسألة من خلال مقالاته وكتبه أبرزها: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، حيث يبحث عن أسباب أزمة العقل العربي كما يعتبر آخر كتبه الموسوم ب: معنى الأشياء رسالة في الجوهر من وجودنا المباشر. حيث يستطرد قائلاً: نهت في كتابي (أسس التقدم) على المسالك الأساسية للمفكرين الذين ينتمون إلى هذا العصر الذي تنعته بعصر النهضة ويمثلون الرهط الإسلامي من مفكري النهضة، وبإضافة رهط المفكرين العرب المسيحيين الذين أسهموا في النهضة نستطيع أن نتبين الاتجاهات الرئيسية التي حكمت مشروع النهضة. وفقاً لهذا التخطيط نستطيع أن نتبين في أعمال مفكري النهضة هؤلاء النزعات التالية: النزعة التمدنية، الإصلاحية الإسلامية، العلمانية، الليبرالية الفعل العملي السياسي، النزعة الاجتماعية، النزعة الأخلاقية. تبدو هذه النزعات جميعاً ذات رؤية أحادية أي إنها تتعلق بعامل واحد رئيس تعول عليه من أجل تحقيق التقدم أو الترقي. ربما تكون النزعة التمدنية هي التي تتجاوز هذا الانحصار لتركب بين ضاريتين أو مدنيتين. وربما تكون هذه هي فضيلتها الكبرى وميزتها الأساسية. أما النزعات الأخرى فجميعها ينحصر في تلك الرؤية الإصلاحية الإسلامية التي تدعي أن العودة إلى الدين وإنقاذ أحكامه في الأفراد في المجتمع وفي الدولة يضمنان النجاح والسودد (جددان، ف، 2023، ص)، من خلال هذا النص يتجلى أن المفكر فهدى جددان يقدم قراءات لمفهوم النهضة وأساسها عند مفكري العرب، حيث يشير إلى الصراع القائم بين المحدثين والأصوليين من خلال العودة إلى رواد النهضة الفكرية والدينية والسياسية، يقدم المفكر فهدى جددان الآليات والطرق التي تجعل من العقل العربي منتجاً مبدعاً لا مقلداً.

ركز المفكر فهمي جدعان على التراث وألف كتاب موسوم ب: نظرية التراث حيث عرض في جملة من موافقه إيزاء التراث الفكري والعربي والإسلامي وخاصة استقراء لمحنة الإسلام السياسي وقضية المعتزلة ومواقفها من الآراء الكلامية، كما أشار بقيمتها لاهتمامها بمكانة العقل، كما أكد على ضرورة العقل كآلية حديثة وقائداً

التأكيد على الخروج من الانحطاط والجمود. وفي إبانته لقيمة التراث وأهمية العقلانية ووظيفتها يستطرد قائلاً: "إن مهمتنا الأولية السابقة على أية مهمة أخرى هي الفعل المباشر من أجل ما أسميته بـ (فك الحصار) المضروب على فعاليتنا الطبيعية والصناعية. وفي اعتقادي أن ما يناضل من أجله مفكرو التيار الجديد الذين يدعون إلى (عقلانية نقدية واقعية) هو أمر لا مفر منه . وهو ضروري لا لأن المعتزلة وابن حزم وابن رشد مثلاً قد أخذوا به، ولا لأن له ما يعززه في التراث، وإنما لأن المعطيات المباشرة لوجودنا العربي الراهن تلزم به إلزاماً لا محيد عنه . بيد أنه ينبغي أن يظل منا على بال أن : تفرد، العقلانية وريادتها لخطو الإنسان العربي الصانع للتراث الممتد الجديد لا يجوز أن يعني الافتئات على المركبات الأساسية الأخرى للطبيعة الإنسانية، أو التقليل من أهمية هذه المركبات وخطورتها. ومن واجب العقلاني أن يعرف قبل غيره أن المركبات البيولوجية والنفسية واللاعقلية والميتافيزيقية .. لها هي أيضاً حقوقها في عملية بناء الإنسان. وهذا الاعتبار عليه أن يجابه المشكلة القديمة نفسها التي جابهها أفلاطون، وأرسطو وابن سينا وابن رشد، وهي : كيف يتسنى لنا أن نجعل من هذا الحوزي الذي هو العقل قائداً لهذه العربة التي تحمل كل هذه القوى المتنازعة، أو المتباينة أو المتفردة، أو المتكاملة"(جدعان، فهمي، 1980، ص41) من خلال هذه القراءة يؤكد المفكر فهمي جدعان على أن الرهان الحقيقي في الفكر العربي الحديث والمعاصر هو عقلانية عربية وإسلامية تقف ضد كل أشكال الجمود الفكري والقوالب الدينية التي تحارب العقل المبدع والمعلم والمعرفة، تقديم العقل على أنه الأساس الذي يبني الحضارة ويطور من الأمم عند المفكر فهمي جدعان لا يعني إغفال وإهمال دور الدين وجوهره الحقيقي في تحقيق التقدم والنهضة..، صناعة التراث تتطلب الجهد العقلي والديني المتجدد البعيد على المفاهيم المنحرفة والخاضعة لأيديولوجيات سياسية وذاتية.

يدعو المفكر فهمي جدعان إلى التحديث باستعمال العقلانية النقدية والأداتية والموضوعية التي تتجلى في مختلف العقول التي يمكن تجسيدها واقعياً وتطبيقها في المجتمعات العربية، بل يدعو إلى التعريف بها داخل المجتمع، حيث يقول "... ومع ذلك فلا بد أن نسأل في هذا الصدد : أية عقلانية هي تلك التي ينبغي التوجه إليها والتشديد عليها : العقلانية الموضوعية، أم العقلانية الأداتية، أم العقلانية النقدية ؟ لا خيار لنا في الأمر . علينا أن نأخذ بها جميعاً، وأن نبسطها ونوضحها ونشيعها بين المأ وبين

الناس جميعا . العقلانية الموضوعية التي تطابق بين الفكر وبين الواقع ضرورية . إذ هي تغرس فينا «عادة التفكير الموضوعي المجاني للأهواء والعواطف والرغبات والخرافات، أي أنها تعودنا على التفكير علميا . والعقلانية الأدائية ضرورية أيضا، لأنها تنقلنا من حقل المعرفة العلمية إلى حقل التطبيق العملي والإبداع التقني والعقلانية النقدية مطلوبة أيضا، لأنها تكشف لنا بوضوح عن طرائقنا في التفكير وعن الشروط المشخصة التي تحيط بهذه الطرائق، وتأذن لنا برؤية معارفنا وأدواتنا في تحصيل هذه المعارف ببداهة وتميز ووضوح . إلى ماذا يفضي هذا النظر ؟ إنه يقود مباشرة إلى تقرير قاعدة أساسية من قواعد التحديث، وهي أنه يجب المواظبة بحرص شديد على أن يكون العقل إماما لنا في توجيه أفكارنا وفي إنفاذ المتعلقات الأدائية والنقدية التي يتطلبها.

(جدعان، ف، 2009، ص 207، 208)، يمكن القول أن المفكر فهدى جدعان جاء بنظرية معرفية تركز على نماذج العقول، فالعقلانية النقدية بالنسبة له يعني النظرة الخالية من العواطف والأهواء إزاء المسائل والمواضيع التي يتطرق إلى المؤرخ أو الباحث والمفكر العربي في بحثه عن سبل للخروج من الأزمة، كما تعني العقلانية الأدائية: هي أن يكون العقل العربي عقل تقنيا يتوجه صوب البحث في التقنيات المعاصرة، لأن التكنولوجيا أصبحت أداة للمعرفة والسيطرة في الفكر العالمي، أما العقلانية الموضوعية: هي الملكة التي تحكم وتفصل في مواضيع دينية تحد من الحكم الذاتي والعاطفي والأيدولوجي، إن اجتماع هذه العقول في المجتمع العربي ومفكره ونخبه مثقفيه تخرج العقل العربي من دوغمائيته وجعله عقلا كونيا يساهم في إضفاء التغيير والحركية داخل الأطر المعرفية للمجتمع، في هذا السياق يضعنا المفكر فهدى جدعان أم معضلة رئيسية وهو مسألة التنوير في العالم العربي، حيث يقول: "فإن السؤال الذي يحتاج إلى إبانة عربيا، هو ما الذي ينبغي أن يُعنى به فكر التنوير كي يكون ثمة مسوغ للكلام على تنوير عربي" يحقق طلبات التنوير التي يحتم هذا التنوير القول فيها، في حدود المعطيات المشخصة لواقع وجودنا الاجتماعي المباشر ؟ بالطبع، يظل التنوير في القطاع الديني ضروريا، وهو يعني عندي أمرين أساسيين : تعقل الإيمان وتحريره من العناصر الميثية والتاريخية المضادة للعقل وللعلم، وتبين الأسس والعناصر والمبادئ القاعدية التي يتقوم بها الدين وبها يكون جديرا بأداء دور فاعل حقيقي في فعل التقدم وفي السعادة الإنسانية . ويلحق بذلك تحليل ونقد السلطات الفقهية والمذهبية والمؤسسات الدينية التي تنحرف عن أداء واجباتها بزهة وأمانة وأصالة. وقد يكون لما ذهب إليه كانت هنا معنى أي طريق الإصلاح بالتوسل بـ «الحرية الأقل ضررا» . لكن موقف الطاعة» لولى الأمر أو غيره، الذي استبد بأهل السنة الأوائل والأواخر وتقمصه وهابية الاستبداد الديني والملك العضوض، يظل أحد الاختلالات الجوهرية التي يتعين على فكر التنوير التصدي لها بالتحليل والنقد والإدانة(جدعان، ف، 2023، ص 186، 187) إن هذا النص يحمل نداء صريح إلى ضرورة التنوير ونقد الأطر المعرفية والمنهجيات الكلاسيكية التي لازالت بعض الفرق تحتكم

لها وتجعل منها أساس في الفتوى، إنها محاولة لجعل الحاضر تراثا، يضرب المفكر فتهي جدعان هذا الحدث بالسلطة الدينية والإيديولوجيات التي جعلت الدين في خدمة مصالحها السياسية وتبرير أفعالها وفتواها، إن التنوير والعقلانية هما من يقفان أمام هذا الغلو الديني والتطرف، كما يخلص التنوير العقل العربي من الخرافات والأوهام.

4- بنية العقل السياسي في فكر فتهي جدعان

لا يمكن الحديث عن المفكر فتهي جدعان دون الإشارة إلى مشروعه السياسي وحديثه عن العقل والفعل السياسي العربي، لأن الاستقرار السياسي مرتبط بالفكر السياسي الذي يتبناه مفكرو النهضة العربية في أطروحاتهم وكتهم وفي مستوى ثان من كتابة الأستاذ جدعان الاجتماعية - السياسية، نجد رسماً للبدايل، أو لسبل الخلاص، في مقدمتها السبيل السياسي. يقول: «كان على أبناء الأرض؛ الذين ينصبون أنفسهم للفعل السياسي، وينهضون من أجل أداء الوظيفة السياسية، ويتصدرون للعمل من أجل الخروج من المحنة العظمى، أن يعوا وعياً تاماً أن الطريق الوحيد للخروج الآمن، ولإدراك الوجود السديد، يكمن في فضيلة العقل الرئيسة أي الحكمة، وفي الفضيلة الجامعة لفضائل النفس في ذاتها، وفي تجلياتها في الأفراد والجماعات، والدول، فضيلة العدالة (المكي، آخ، 2016، ص212)

يربط المفكر فتهي جدعان التغير السياسي يرتبط بالعقل السياسي التي بفضائل العقل الحكمة التي تحقق جميع الفضائل المنشودة في المجتمعات العربية، لكن ما يزعزع الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط خاصة هو الصراعات الإثنية والطوائف من أجل الحكم، التي تتحول فيما بعد إلى حروب أهلية داخل الدولة الواحدة، حيث يقدم المفكر فتهي جدعان عدة قراءات حول الصراع على الحكم داخل النظم العربية وخاصة التي تتعلق بتشريع القوانين الشعب والحاكم، وتحدد كيفية تسير الشؤون المدنية، خاصة المسألة المتعلقة بالعلمانيين والإسلاميين حيث يستطرد قائلا: "والحقيقة أن وعود الإسلاميين الموجهة أولاً وأخيراً إلى مبادئ "الاستخلاف في الأرض" و"الحاكمية" وحتمية الدولة الإسلامية، وأمر "تغيير العالم"، لم تعد تمثل فقط وعوداً طوباوية في جملتها، كما لم تعد تمثل وعوداً ملقية بالمسلمين إلى التهلكة والدمار فحسب، ولكنها أيضاً فوق هذا وذاك وعود "تحريفية" هي وليدة الظروف التاريخية الصعبة التي مر بها العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث، وثمره الأفاق المسدودة التي وجد هذا العالم نفسه قبالتها منذ سقوط دول الإسلام وتحقق الظفر الحضاري الغربي وتدخل الدول الغربية في إعادة تشكيل العالم العربي والإسلامي والهيمنة عليه. وهي وعود "تحريفية" بمعنى أنها تخرج عن حدود الغائية الكبرى والمركزية التي أرادها الإسلام لنفسه، وذلك بما هو دين قد جاء رحمة وهدياً للعالمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وبما هو شرع يتوخى أولاً وأخيراً وبإطلاق، تحرير

الإنسان من العبودية وإقامة مبدأ (العدل) على الأرض. فحقيقة الأمر أن قيم (العدل) و(الحرية) المقرونة بالرحمة والمصلحة هي القيم الأساسية التي أرادها الإسلام غائية له بيد أن تقديم أمر الدولة الإسلامية والحاكمية الإسلامية وترتيب "الصراع الأقصى" حوله لا يمكن أن ينجم عنه في المدى المنظور إلا الحيلولة دون نجاح القيم العليا الإسلامية المتمثلة في هذه القيم: العدل، والرحمة والمصلحة، والحرية، وتفاقم مبدأ الرؤية الانفصالية" الذي يزيد الأمور تعقيداً على تعقيد، ويجرد الإسلام والمسلمين من القدرة على أداء الغائية النهائية للرسالة الإسلامية.(جدعان، ف، 2007، ص96، 95) في هذا النص يقدم المفكر فهدى جدعان تحليل للتصور الإسلامي الذي يحاول السيطرة على مقاليد الحكم، لأن المجتمعات العربية متعددة الأديان والأجناس وبالتالي العقل الذي يجب أن يشرع القوانين يكون مبنياً على ميثاق وضعي وديني بحيث يمكنهم من تجاوز الانقسامات الداخلية والصراعات، ويصف وعود الإسلاميين أنها مرتبطة بزمان وتاريخ معين ولا يمكن أن تواكب المفاهيم والآليات الحديثة للعقل السياسي الحديث، كما أن تحقيقي الدولة الإسلامية مستحيل في النظام السياسي العربي للدول، كما أن أفعال الإسلاميين المزمته لا علاقة لها بجوهر الإسلام. ويصف وعود الإسلاميين بالانعزال والسكون والانغلاق حيث يقول: "وأعود وأشدد على أن وعود نظام "الإسلاميين والمصلين" المحدث تنطوي على نظام انعزالي سكوني مغلق، وأنها مدعوة لأن تتحول عن هذا النظام إلى الأخذ بـ وعود الإسلام نفسه التي هي وعود إنسانية حية رحيمة منفتحة بامتياز."

عكس ذلك يقدم قراءة نقدية للعلمانية المتشددة والإقصائية ويدعو إلى العلمانية الإنسانية التي تجمع بين أفراد الشعب مهما اختلفت أديانهم، العلمانية الإنسانية هي الحل الأساسي للخروج من الأزمة التي تعاني منها المجتمعات العربية، ويدعو إلى العقلانية التكاملية التي توفق بين جوهر الإسلام ومكونات الحضارة الغربية التي تخضع إلى مبادئ إنسانية وأخلاقية.

في الفضاء الديمقراطي تستطيع نواة الإسلام الجوهرية، أي العدالة المقترنة بالمصلحة وقيمتها المجاورة والنواة العلمانية الجوهرية، أي العقلانية التكاملية، ونواة الليبرالية التضامنية، أي الحرية الإيجابية، أن تتضافر وتلتقي عند مركب شامل يوجه ثقافة وحراك جميع هذه النظم ويأذن بإدراك نتائج واقعية ذات أداء عال وجدوى حقيقية في الحياة المشخصة الحاضرة والمنظورة للمجتمعات العربية؛ إنه نظام من القوى المتكاثفة المتضافرة، يأذن ببناء عالم عربي إنساني، حامل المقومات التقدم وقادر على البقاء والعيش في العالم الكوني المعقد الذي يتشكل أمام(جدعان، ف، 2007، ص385)

أما النهضة السياسية لا تتحقق في الواقع إلا من خلال إقرار بجملة من التعاليم الإنسانية وأخلاقية النبيلة التي تركز على السلم وتجنب الصراعات الداخلية المتمثلة في صراع الأحزاب الدينية من أجل الظفر والانفراد بالسلطة والتجربة اللبنانية خير مثال على ذلك، حيث أفضى الصراع حول

السلطة وتحول إلى رفع السلاح وحرب أهلية، الحل الوحيد لبث الاستقرار السياسي أن يكون المواطن تابع لتشريعات بعيدة على إيديولوجية معينة، هو الحوار والتوافق السياسي وتغليب المصلحة العامة للبلاد على المصلحة الفردية، العمل على إحلال الديمقراطية التمثيلية والحرص على تطبيق العدالة والمساواة بين المواطنين، احترام حريات الأشخاص الانفتاح على الفكر السياسي الغربي وأخذ المبادئ والنظريات التي يمكن أن تكون حل للازمات التي يعاني منها المجتمع العربي، هذا ما يؤكد عليه المفكر فهدى جدعان، حيث يقول "لا يمكن للنهضة العربية أن تنجز شيئاً من مطامحها ووعودها إذا وقف الدين حائلاً دون إنفاذ المبادئ الضرورية لقيام النهضة، وإذا لم يجسد عامل تفاهم وتوافق اجتماعي شامل، وذلك بالحرص، في الداخل أولاً، على عدد من الأمور الأساسية : الأول : إنفاذ سياسة في السلم الاجتماعي الداخلي وتغليب مبدأ الرحمة والتسامح على مبدأ العداوة . الثاني: الانحصر في المطالب الواقعية المتعلقة بتطبيق الشريعة والإقرار بمبدأ «النسبية» في العلاقات العقدية والمذهبية والطائفية في المجتمع . الثالث: الإقرار بجملة القيم المدنية الأساسية : الحريات الأساسية المساواة، العدالة، التعاقدية الاجتماعية، الديمقراطية التمثيلية، قبول الاختلاف الرابع : حل مشكل الاختلاف المذهبي والاجتهادي الديني في فضاءات دين الإسلام نفسه الخامس : انخراط الروح الدينية في عمليات التنمية الاقتصادية والمادية الوطنية . السادس : تعظيم الفاعلية الإرادية الفردية والإعلاء من قيمة الشخص الإنساني) ورد مفهوم (الأمة) إلى حدود لا يجوز فيها على مفهوم الشخص، وذلك دون الوقوع في الفردانية الليبرالية المسرفة ودون تفويت منافع الليبرالية الاجتماعية في مشروع النهضة . السابع : اتباع طريق التوافق والحوار والمناقشة مع العالم الخارجي ونبد طريق التقابل المستحيل" . هل تتفق هذه الشروط أو المبادئ مع مفهوم الدين -دين الإسلام- (جدعان، ف، 2009، ص262)، أما فيما يخص حديثه عن الفعل السياسي فإنه يواصل دعواته للانفتاح والتسامح، يصل المفكر فهدى جدعان إلى ضرورة التوافق مع الفكر الغربي ومبادئ الإسلام، لأن هذه النظرة كونية، ويضيف لنا أن الخلاص يكمن في المنح بين قيم التنوير الأصلية وقيم الإسلام التي تدافع عن الحرية والديمقراطية والعدالة. حيث يجب عن سؤال "لا خلاص إلا بالإسلام" "لا خلاص إلا بالدولة الإسلامية" أين يقف الدكتور جدعان من هاتين الصيغتين ؟ باختصار شديد أعتقد أن الخلاص يكمن في تمثلنا الجملة قيم التنوير التي تأذن بالتقدم. وأعتقد أن قراءة ما للإسلام يمكن أن توافق وتعزز هذا الطريق، إذ من المؤكد أن النصوص الإسلامية يمكن أن تفسر على نحو يجعلها حافزاً للتطور الطيب ومعيناً على التقدم والخلاص. أما الخلاص بالدولة الإسلامية فيبدو لي أنه في الظروف الراهنة وعلى المدى المنظور محفوف بالمخاطر الكبرى المحلية والكونية، وبخاصة إذا اتخذت هذه الدولة طابعاً صراعياً صريحاً.

وإذا كان علي أن اختار بين هاتين الصيغتين فإنني أميل إلى الصيغة الأولى بشرط أن يكون واضحاً أن الإسلام المقصود هنا هو الإسلام المتمثل والمعزّز لقيم الحرية والديموقراطية والعدالة والتعددية .. وجملة قيم التنوير الأصلية. (جدعان، ف، 2002، ص408)

خاتمة

نخلص في النهاية أن المفكر فهدى جدعان حاول المزوجة بين الفكر الإسلامي والفكر الحديث من خلال الدعوة إلى التجديد والإصلاح الديني، عن طريق استعمال الآليات المنهجية والمعرفية في تاريخ الفكر الإسلامي، ويستعين في ذلك بتجربة المعتزلة وابن خلدون وابن رشد، مشروع العقلانية التكاملية ضرورة في صناعة النهضة العربية والإسلامية، يدعو المفكر فهدى جدعان إلى الانفتاح على الفكر الكوني والغربي وتطبيق التجارب الغربية في فيما يخص الديمقراطية والعلمانية، إنه يعتبر الأساس الإلزامي في بناء دولة المواطنة يرتكز على الفكر السياسي الغربي الذي يوافق المسار السياسي العربي، النهضة والتقدم وآلياتها تتمثل في التجسيد البراغماتي للفضاء الاجتماعي العربي الذي يشترط حضور الحوار والسلام داخل مكونات المجتمع الواحد ونبذ كل أشكال العنصرية والتطرف الفكري والديني الذي يهدد كيان الدول والأمم، يعتبر التراث العقلاني على أنه المحرك والجوهري الحقيقي للأمة العربية والإسلامية. تهدف هذه الدراسات إلى التعريف بنزعة ومشروع المفكر فهدى جدعان وأبرز مساهماتها في الفكر العربي المعاصر، حيث نلاحظ أن أسس الحداثة عنده تكمل في العقلانية والعلمانية التكاملية والاعتدال الفكري والديني.

**

قائمة المصادر والمراجع

- 1- جدعان، فهدى، (2023)، معنى الأشياء، رسالة في الجوهري من وجودنا المباشر، ط1، عمان، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع.
- 2- جدعان، فهدى، (2007)، في الخلاص النهائي: مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 3- جدعان، فهدى، (1997)، الماضي في الحاضر، دراسة في تشكيلات ومسالك التجربة الفكرية العربية، ط1، عمان، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع.
- 4- جدعان، فهدى، (1980)، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، ط1، الأردن، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 5- جدعان، فهدى، (2013)، تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- 6- جدعان، فهدى، (2009)، المقدس والحرية وأبحاث ومقالات أخرى من أطراف الحداثة ومقاصد التحديث، ط1، الأردن، عمان، دار الفاس للنشر والتوزيع.
- 7- جدعان، فهدى، (2002)، رياح العصر، قضايا مركزية وحوارات كاشفة، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 8- الملكي، باسم، هريمة، يوسف، بوعجيلة ناجية (2016)، أعلام تجديد الفكر الديني، ط1، لبنان، بيروت، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع.